Deanship of Scientific Research

Linguistic Issues according to Dia AL-Din Ibn Al-Atheer in his Book (The Exemplar in the Literature of the Writer and the Poet)

Mazen Jaradat, Hala Martini*

Ajman University, UAE

Received: 26/4/2020
Revised: 1/12/2020
Accepted: 15/6/2021
Published: 15/9/2022

* *Corresponding author:*
hala-martini@hotmail.com

Citation: Jaradat, M., & Martini, H. (2022). Linguistic Issues according to Dia AL-Din Ibn Al-Atheer in his Book (The Exemplar in the Literature of the Writer and the Poet). *Dirasat: Human and Social Sciences*, *49*(5), 52–64.
https://doi.org/10.35516/hum.v49i5.2779

Abstract

This study aims to shed light on the linguistic thought of Dhia Al-Din Ibn Al-Atheer through his book The Parable in the Literature of the Writer and Poet, and lists the most important grammatical references mentioned by Ibn Al-Atheer in his book, and accusing him of some writers of making grammatical errors, and mentioned some of the grammatical rules known and contrary to each other The other, and the study shows the positions of right and wrong in grammatical rulings, inferring it from its manifestations, and highlighting the usefulness of the opinions in it that help the writer, poet and interested in Arabic in this era. The study concluded the most important results: 1. Ibn Al-Athbar was citing what he says of the Qur'an and poetry, and he was drawing a way for writers and poets to draw their methods from the Holy Qur'an. 2. He had views on the meanings of the Qur'an, most of which were tracings for the former, such as al-Jarjani and al-Zamakhshari, and some of them indicate a conscious and accurate thought of the secrets of the Qur'an's language and its miracle. 3. The research shows the great importance of the book of the proverb in the literature of the writer and poet - in addition to describing it as a critical and rhetorical book, as it is a manhole from which the book and poets aspire from the Arabic expressing the intended meanings.

Keywords: Phonological, morphological, syntactic, semantic.

القضايا اللغوية عند ضياء الدين بن الأثير في كتابه المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (البحث المعدّل)

مازن جرادات، هلا مارتيني*

جامعة عجمان، . الإمارات العربية المتحدة

ملخّص

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضّوء على الفكر اللغوي عند ضياء الدّين بن الأثير من خلال كتابه المثل السائر في أدب الكاتب والشّاعر، وتوردُ أهمّ الإشارات النّحويّة التي أوردها ابن الأثير في كتابه، واتّهامه بعض الأدباء بالوقوع في الخطأ النّحوي، وذكره لبعض القواعد النحوية المعروفة ومخالفته لبعضها الآخر، وتبيّن الدّراسة مواقع الصّواب والخطأ في الأحكام النحويّة، والاستدلال عليه من مظانّه، وإبراز ما يمكن الإفادة فيه من آراء تعين الكاتب والشّاعر والمهتمّ بالعربيّة في هذا العصر.

وقد خَلُصت الدّراسة إلى نتائجَ أهمّها:

1- كان ابن الأثير يستشهد على ما يقوله من القرآن والشعر وكأنه يرسم طريقًا للكُتّاب والشعراء أن يستقوا أساليبهم من القرآن الكريم.

2- كان عند ابن الأثير نظرات في معاني القرآن جلها كانت اقتفاء للسابقين كالجرجاني والزمخشري، وبعضها يدل على فكر واع ودقيق لأسرار لغة القرآن وإعجازه.

3- يبين البحث الأهمية الكبيرة لكتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر – بالإضافة إلى وصفه كتابًا نقديًّا وبلاغيًّا فهو منهل يستطيع أن ينهل منه الكتاب والشعراء أساليب العربية المعبرة عن المعاني المقصودة، فقد أفاد ابن الأثير بفكره الفذ من القرآن الكريم الذي كان من حفاظه.

4- كشف البحث عن مدى اهتمام ابن الأثير بالجانب اللغوي وأنه بالنسبة للكاتب أو الشاعر بمنزلة الأسس التي لا بد منها، فقد تحدث عن مستويات الدرس اللغوي كالأصوات والصرف والنحو والدلالة وأهمية كل منها في المعنى العام للنص.

5- كشف البحث أسلوبًا لابن الأثير في عرض الجانب النظري للمسألة ثم التطبيقي على النصوص ولا سيما آيات القرآن الكريم المعجز.

الكلمات الدالة: الجوانب الصّوتية، الصّرفية، النّحويّة، الدلاليّة.

© 2022 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

المقدمة:

إنّ قراءة تراثنا العربيّ في ضوء ما تقدّمه الدّراسات الحديثة من إسهامات في شتّى المجالات تُعدُّ ضرورة حضاريّة تملها علينا ظروف التّقدّم العلميّ في العصر الحديث. والمُطّلِعُ على الدّراسات اللغويّة في تراثنا اللّغويّ يجدها تبعث على الإعجاب، فهي تُظهر في شيء غير قليل من القضايا سَبْقَ عُلمائِنا القُدامى إلى بعض أحدث النّظريّات اللّغويّة في العصر الحديث.

وكان علماؤنا القدماء يمزجون في مؤلّفاتهم الجوانب اللّغويّة والبلاغيّة والنّحويّة والصّوتيّة، فلم يوجد التّخصّص الدّقيق لديهم؛ بل كانوا أوسع معرفة في هذه الجوانب، ومن هؤلاء ضياء الدين بن الأثير في كتابه "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، الذي أولاه الدّارسون جانبا طيّبًا من دراساتهم، فمنهم من درس آراءه دراسة نقديّة انطلاقًا من فكرة اعتزازه –الزّائد كما يقولون- بنفسه، وكان الغرض من ذلك إظهار أخطائه، ومنهم من درس آراءه وغرضه إظهار محاسنه.

في حين تهدف هذه الدّراسة إلى كشف النّقاب عن الجانب اللّغويّ من فكر عالم من علماء البلاغة والنقد هو ضياء الدّين بن الأثير، وذلك للوقوف على الفروق بين نظريتي اللغة والبلاغة في خدمة النّصّ ومعناه، وكانت هذه الدّراسة في كتاب من أشهر كتب ابن الأثير وهو كتاب المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر، ومن خلال الدّراسة تبيّن أن لابن الأثير نظرات خاصّة به تختلف أحيانا مع اللّغويين، وتتفق معهم أحيانا أخرى، وأنّه أتى بآراء لم يُسبَق إليها -كما ذكر في كتابه- وذلك من فهمه الخاصّ للظّاهرة.

وتناولت الدّراسة الجوانب اللّغويّة الآتية وهي مرتبة وفق منهج الدّرس اللّغوي:

- الجوانب الصوتية
- الجوانب الصرفية
- الجوانب النحوية
- الجوانب الدلالية

ولسنا ندّعي السّبق في هذا المجال بل نقرّ بالفضل إلى من سبقنا من أصحاب الدراسات السابقة التي أفدنا منها ولا شكّ، ونذكر منها:

1. **الدراسة الأولى** موسومة بـ "**الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي القديم، المثل السائر لابن الأثير نموذجا**"، رسالة دكتوراه لعبد الرحمن الخالدي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب، فاس2003: كان هدف البحث هو الإثبات بالدّليل القاطع أن الأسلوب العربي يختزل في ذاته كل المقومات التي تجعل منه علما قائما بذاته، له قواعده وضوابطه، وهو الأسلوب العربي الممتد في التاريخ زمانا ومكانا. وتتبع الباحث بعض من نصوص النقد العربي القديم متمثّلا في "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر" لضياء الدين بن الأثير.
2. الدّراسة الثّانية موسومة بـ"**نقد النقد في التراث العربي، كتاب المثل السائر نموذجًا**"، خالد بن محمد بن خلفان السيابي، دار جرير، عمان، ط1، 2010م، وكان من أبرز نتائجها:

– تأكيد الأهمية الكبيرة لكتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر بوصفه كتابًا نقديًّا وبلاغيًّا، وهو أمر ليس بالجديد، إذ أشار إليه عدد من الكتّاب قديمًا وحديثًا، ومنهم عبدة عبد العزيز قليقلة.

– ما تميّزت به شخصية ابن الأثير من غرور وإعجاب بالنفس كما بدا ذلك واضحًا من خلال كتابه، أي كتاب ابن الأثير، وهو كذلك ليس جديدًا.

– شكّلت كتب الردود معينًا خصبًا لإثراء الأدب العربي، وشكّلت نواة لنقد النقد.

3. دراسة ثالثة منشورة إلكترونيا موسومة بـ " صفات الكلمة الحسنة المقبولة عند ابن الأثير"لمحمد أديوان، مجمع اللغة العربية بدمشق، 2007، http://www.arabacademy.gov.sy/uploads/magazine/mag82/mag82-4-3.pdf تحدّث فيها الكاتب عن أنّ ابن الأثير قد حدّد أوصافا للكلمة بها تكون حسنة ومقبولة، وأوّلها ألّا تكون الكلمة من الوحشي. وذكر المقصود بالوحشي، ومعاييره والفرق بينه وبين المعيب.

ونحن في هذه الدّراسة سنتناول بالدّراسة القضايا اللّغويّة التي جاءت في كتاب ابن الأثير وما يحيط بها من آراء وتوجيهات وشروحات لأجل الإفادة منها، ولا يعنينا في دراستنا ما تجاوز به البعض عليه من نقد أو تجريح، وإنّما ما نفيده منه ومن فكره اللّغوي ونناقش بعض توجّهاته النّحويّة ما لها وما عليها، من أجل فائدة الشّعراء والكتّاب والمهتمين في هذا العصر.

ويعدّ كتاب المثل السائر لابن الأثير موسوعة علمية شاملة، يمكن اعتمادها لمن يهتمّ بموضوع الكتابة بأنواعها، المنظوم منها والمنثور، وما وضعه ابن الأثير من بعض الأسس لها، ولِمَن يبحَثُ في هذا الفن من المبتدئين والمختصين والبارعين فيه على اختلاف أنواعه وفروعه. ولا يقتصر الكتاب على علوم الأدب وحدها من نحو وبلاغة وشعر ونقد، وإنّما هو مرجع يمكن العودة إليه في مجال الفلسفة والمنطق والتاريخ والفلك وغيرها. ولا يمكن احتكار فوائده الغزيرة ومنافعه الجمَّة على عصره وزمانه، بل إن فيه من المعلومات القيمة ما تصلح مرجعية ثابتة مهما تقدَّمت وتطوَّرت المهارات الفنية والأدبية، أضف إلى ما سبقَ اشتماله على نقدٍ بنَّاء لمن سبقه مما يغني عن الوقوع في أخطاء وهفوات وزلّات شائعة، فالكتاب أصلٌ مهمٌّ في أصول الأدب والنّقد،

وأتى لبنة مكمّلة للثغرات التّي خلّفتها الكتب الأدبيّة السّابقة له، كما أتى بملكة إبداعية جديدة لم يُشَر إليها قَبلَهُ كما تبين لنا أسلوبه في عرض الجانب النظري ثم التطبيقي على النصوص كآيات القرآن الكريم والشعر.

التّعريف بضياء الدّين ابن الأثير:

نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب. ولد في جزيرة ابن عمر (558ه)، وبها كانت نشأته وتلقيه للعلوم الأولية، له عدة مؤلفات من أبرزها الكتاب الذي نحن بصدد دراسته والاحتفاء به وهو المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ومنها: الوشي المرقوم في حلّ المنظوم، وكفاية الطّالب في نقد كلام الشّاعر والكاتب، وغيرها. توفي في بغداد(637ه) ودفن بمقابر قريش. (ابن خلكان:1977م).

منهج المؤلّف وأسلوبه:

يعدُّ الكتاب من أبرز الكتب النقدية في العصر الأيوبي، لشهرة مؤلّفه في عصره، وتفوقه في مجاله، وقد لاق القبول في الوسط النقدي عمومًا، كما لاق هجومًا من أطراف أخرى بسبب إبداعه الواضح وابتعاده عن اتباع المألوف المطروق مما جعله مستهجنًا عند المتمسّكين بالأسلوب التقليدي ومحاكاة الأسبقين.

ويمكن اقتباس منهج المؤلف وأسلوبه من خلال طبعة من طبعات الكتاب نفسه قدَّم لها الحوفي وطبانة وكان في مقدمة التحقيق ما ملخصه: وإذا كان لكلّ مؤلف في فن من فنون التأليف لون خاص من ألوان المعرفة يمتاز به عما سواه وناحية يظهر تفوقه فيها، فإن ابن الأثير قد حلَّق في آفاق كثيرة من آفاق المعرفة، تجد صداها واضحًا في هذا السِّفر النّفيس، فأنت ترى فيه الكثير من الإشارات التّاريخيّة الّتي لا يعرفها إلّا الواقفون على أحداث الزّمان والعارفون بتقلّباته وسير أبطاله وأعلامه، وتقرأ فيه آثار معرفة واسعة بعلوم اللّغة العربيّة الّتي لا يعرفها إلّا المختصّون بدراسة أصولها، والمتبحّرون في فقه لغتها، والعاكفون على معرفة نحوِها وصَرفها وأساليبِ التّعبير بها، وتطالع في المثل السّائر آثارَ معرفة كتاب الله وحفظِ آياتهِ، وقدرة عجيبة على استِحضارها، والتَّمثُّل بها في كلِّ موضع يُريدُ أن يَتَمثّل فيه بما يوافق آراءه في وسائل الإجادة وأسباب الإتقان، وتجد فيه كثيرًا من أحاديث النّبي صلّى الله عليه وسلّم وفقه سنته والوقوف على سيرته وأخبار صحابته، كل ذلك إلى جانب ما وُشِّيَتْ به صفحات المثل السائر من حكم العرب وأمثالها، ومن مأثور منظومها وجيّد منثورها، ما يروقك الاطّلاع عليه ويأخذ بلُبِّكَ ما ترى من القُدرة على استِحضارِهِ وإجادَةِ التَّمَثُّلِ به". (ابن الأثير، المثل السّائر، 1989)

ومِن أبرز ما يميّز الكتابَ؛ المزجُ بين الشّواهد والتّحليل، فهو يمزج القاعدة بالتّطبيق وينقد ويوازن ويختار وهذا هو المجال الّذي تزهو به البحوث البلاغيّة. كذلك كثرةُ الشّواهد بين الدّراسةِ اللّغويّةِ والنّحويّة والصّرفيّة والدّراسة البيانيّة، وتكاملُ هذه العناصر مع بعضها، فهو كتابُ أدب لما تضمّنه من نصوصٍ أدبيّة مختلفة، وهو كتاب نقد لما حواه من إشارات نقدية، إضافة إلى القطع الأدبية من كلام المؤلّف نفسه، كما أنه لم يخضع للتّقسيمات المعروفة في كتب البلاغة من علم البيان وعلم المعاني وعلم البديع إلخ.

النّحو والبلاغة:

كان القدماء على معرفة موسوعية في مختلف علوم اللغة (الأصوات والصرف والنحو والدلالة والبلاغة والنقد وفهم معاني القرآن، وقد أشار ابن الأثير في مواضع كثيرة من كتابه المثل السّائر، إلى موضوعات لغوية وبلاغية، وموضوعات مشتركة بين النّحو والبلاغة، كالحذف والذّكر والتّقديم والتّأخير والفصل والوصل، وأشار إلى نظم القرآن وارتباط المعنى به.

ويرى ابن الأثير أن موضوع كل علم هو الشّيء الذي يسأل فيه عن أحواله التي تعرض لذاته. وموضوع علم النحو هو الألفاظ والمعاني، والنّحوي يسأل عن أحوالهما في الدلالة من جهة الأوضاع اللغوية. (ابن الأثير:1998)

ونجده في الفصل الثّاني تطرق إلى آلات علم البيان وأدواته التي حددها في ثمانية أنواع من الآلات، فيضع على رأسها معرفة علم العربية من النحو والتصريف، ويقول: "فان قيل: أما علم النحو فمسلم إليك أنه تجب معرفته، لكن التصريف لا حاجة إليه، لأن التصريف إنما هو معرفة أصل الكلمة، وزيادتها، وحذفها، وإبدالها، وهذا لا يضر جهله، ولا تنفع معرفته". ويرد عن ذلك أن الكاتب أو الشاعر إذا كان عارفا بالمعاني، مختارا لها ولم يكن عارفا بعلم النحو، فانه يفسد ما يصوغه من الكلام. ويختل عليه ما يقصده من المعاني، وأما التصريف فانه إذا لم يكن عارفا به لم تفسد عليه معاني كلامه، وإنما تفسد عليه الأوضاع، وإن كانت المعاني صحيحة، "فكل من النحو والتصريف علم منفرد برأسه، غير أن أحدهما مرتبط بالآخر، ومحتاج إليه". (ابن الأثير:1998)

ولا ينبغي –عند ابن الأثير- للنّاظم أو النّاثر أن يهمل ما يخفى عليه من علم العربيّة فيسقط من اهتمامه باللّحن الخفيّ، فاللّحن الظّاهر قد كثرت

مفاوضات النّاس فيه، حتّى صار يعلمه غير النّحويّ، ولا شك في أن قلة المبالاة بالأمر واستشعار القدرة عليه، توقع صاحبه فيما لا يشعر أنه وقع فيه، فيجهل بما يكون عالما به. (ابن الأثير، المثل السّائر، 1998)

وقد تناولنا في هذه الدّراسة الجوانب اللّغويّة الآتية وهي مرتبة وفق منهج الدّرس اللّغوي:

- **أوّلًا: الجوانب الصّوتية:**

رأيه في تلاؤم الحروف وتنافرها في الكلمة:

تناول ابن الأثير فصاحة الكلمة وكان مقياسه في الفصاحة الحسن والقبح، ومرد ذلك إلى حاسة السمع، وليست الفصاحة في بعد مخارج الحروف أو قربها، لأنه قد يجيء في المتقارب المخارج ما هو حسن رائق، ومن متباعد المخارج شيء قبيح أيضًا" ويذكر مثالًا على ذلك كلمتي (ملع وعلم) فالأولى قبيحة والثّانية حسنة مع أن حروف الكلمة الأولى هي نفسها حروف الكلمة الثانية ومخارج الحروف في الكلمتين لم يتغير.. ويقرر ابن الأثير النتيجة التي توصل إليها في هذا الشأن، وهي أن مخارج الحروف غير معتبر في الحسن والقبح وأن التنافر في الحروف في الكلمة الواحدة أو تنافر الكلمات في الجملة لا علاقة له بوضوح التّعبير، فالتّعبير لا ينقص من وضوح الكلام ولا يورثه شيئًا من الغموض أو خفاء المعنى (ابن الأثير: 1998).

ويذكر قول الشّاعر: (الزمخشري- ربيع الأبرار:1992)

وقَبرُ حَربٍ بمكانٍ قَفرٍ***ولَيسَ قُربَ قَبرِ حَربٍ قَبرُ

فالمعنى في البيت واضح كلّ الوضوح على الرغم من تنافر كلماته (ابن الأثير: 1998).

وقد تناول فصاحة الكلمة ابن سنان الخفاجي وجعل مقياس ذلك بعد مخارج حروفها. (الخفاجي: 1982م، سرّ الفصاحة/ 64)، وكأن ابن الأثير يرد عليه هذه الفكرة بقوله" ولو أراد الناظم أو الناثر أن يُعَدّ مخارج الحروف عند استعمال الألفاظ، وهل هي متباعدة أو متقاربه لطال الخطب في ذلك وعسر. ونحن نرى الأمر بخلاف ذلك فإن حاسة السمع هي الحاكمة في هذا المقام بحسن ما يحسن من الألفاظ وقبح ما يقبح. فإذا استحسنت لفظًا أو استقبحته وجد ما استحسنته متباعد المخارج، وما تستقبحه متقارب المخارج.. واستحسانها واستقباحها إنما هو قبل اعتبار المخارج لا بعده". (ابن الأثير: 1998)

في هذا الرأي كأن ابن الأثير يقتفي أثر عبد القاهر الجرجاني في رفض فصاحة الألفاظ المفردة، ولكنّ الجرجاني يرى أن المزيّة من حيّز المعاني دون الألفاظ وأنها ليست ممّا يسمع بالأذن بل بالمعنى وترتُّبِه بالفكر، وقوله (واستحسانها واستقباحها (أي الكلمات) إنما هو قبل اعتبار المخارج لا بعده " دليل على أن المعتبر في الحسن انتقاء المعنى في الذهن قبل النطق بالكلمة. وعارض من يقول: إن فصاحة المفردة تقوم على التأليف من حروف متباعدة، وهو بذلك يخالف ابن دريد وابن جني وابن سنان وابن الأثير. (الجرجاني: 1984).

- ثانيًا: الجوانب الصرفية:

رأيُه في جواز حذف الألف واللام من فُعلى التّفضيل:

تناوَلَ ابن الأثير بيتًا شعريًّا للشّاعر أبي نؤاس ويرى أنّه غلط فيما لا يغلط مثله فيه، فقال في وصفه الخمر: (ديوان أبو نواس: 2010)

كَأَنَّ صُغرى وَكُبرى مِن فَواقِعِها***حَصباءُ دُرَّ عَلى أَرضٍ مِنَ الذَهَبِ

فينقد ابن الأثير قول أبي نواس (صغرى) و(كبرى) ويرى أنّهما غير جائزتين في العربيّة، "فإن فُعلى أفعل لا يجوز حذف الألف واللام منها، وإنما يجوز حذفها من فعلى التي لا أفعل لها، نحو "حُبلى"، إلا أن تكون فعلى أفعل مضافة، وها هنا قد عريت عن الإضافة وعن الألف واللّام". (ابن الأثير، المثل السّائر، 1998) وَقَد ذهبَ كثير من أهل اللّغة مذهَبَ ابنِ الأثير من المتقدّمين عليه أو المتأخّرين، يقول خالد الأزهري: "(ثم تنقسم) الجملة ثانيًا (إلى) الجملة (الصغرى والكبرى)... فإن قلت لم قلت الصغرى والكبرى بالتعريف بأل ولم تقل صغرى وكبرى بالتنكير قلت لم قلت لأنهما من باب اسم التفضيل واسم التفضيل إذا تجرد من (أل) والإضافة يجب أن يكون مفردًا مذكرًا دائمًا وإذا اقترن بـ(أل) يجب مطابقته لموصوفه" (الأزهري: شرح الأزهرية، ص:52)، إلّا أنّ فريقًا آخر من أهل اللّغة يذهبون مذهبًا وسطيا يبرّر لأبي نواس قوله، فنجد ابن يعيش في شرح المفصّل يقول في البيت نفسه: "ويجوز أن يكون لم يُرِد فيه التفضيل، بل معنى الفاعل، كأنّه قال: "كأنّ صغيرة وكبيرة من فواقعها" على حد قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ في أحد القولَيْن. و"الفَواقع" النفّاخات التي تكون على وجه الماء. يصف خَمْرًا، وما عليه من الحَبَب، شبّه الحبب بالدرّ، وهو اللؤلؤ، والخمرَ تحته بأرض من ذهب، ولقد أحسن". (ابن يعيش:2001، 139/4)، أما الغلاييني فيذهب في جامعه إلى صواب قول أبي نواس، فيقول: " قد يَرِدُ "أفعلُ" التفضيل عاريًا عن معنى التَّفضيل، فيتضمَّنُ حينئذٍ معنى اسم الفاعل، كقوله تعالى {ربُّكم أعلمُ بكم} أي "عالمُ بكم"، أو معنى الصفة المُشبهةِ، كقوله سبحانهُ {وهو الّذي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثم يُعيدُهُ، وهو أهوَنُ عليهِ} أي "وهو هَيّنٌ عليه": (الغلاييني: 2017) وقولُ الشاعر: (ديوان الفرزدق:1987)

إنَّ الَّذي سَمَكَ السّماءَ بَنى لنا... بَيْتًا دعائِمُهُ أعزُّ وأطوَلُ

ثمّ يعلّق على بيت أبي نواس فيقول: "فيكونُ قولُ ابن هانئ: (كأنّ صُغْرى وكُبرى...) صحيحًا وليس بِلَحنٍ كما قالوا؛ لأنَّ "صغرى وكبرى" ههنا. بمعنى "صغيرة وكبيرة" فهما عاريتان من التفضيل فلا يجب فيهما الإفراد والتذكير. كما تجوز المطابقة، وإن كان الأول هو الأفصح والأشهر. (الغلاييني: 2017)،

وبذلك لا يمكن القول بأنّ أبا نواس كان مُخطِئا فيما ذكر من شعره.

كذلك نجد ابن الأثير غلَّط أبا تمّام في قوله: (ديوان أبي تمام: 2009)

بالقائِمِ الثَّامِنِ المُسْتَخْلَفِ اطَّأَدَتْ ** قواعدُ الملكِ ممتدًا لها الطولُ

"ألا ترى أنه قال (اطّأدت) والصّواب (اتّطدت) لأن التّاء تبدل من الواو في موضعين: أحدهما مقيس عليه كهذا الموضع، فإنه من وطد يطد، فإذا بني افتعل قيل (اتطد) ولا يقال (اطأد)، وأما غير المقيس فقولهم في وجاه (تجاه) وقالوا (تكلان) وأصله الواو لأنه من وكل يكل، فأبدلت الواو تاء الاستحسان".(ابن الأثير: 1998، 29/1) وابن الأثير في ذلك مصيب، فلم يُسمَع من العرب قولهم (اطّأدت) إلا عند أبي تمّام، ومخالفتها للقاعدة الصّرفيّة المثبتة عند القدماء جليّة، وابن الأثير فيما قال يوافق أئمّة اللغة كابن جني في كتابه سرّ صناعة الإعراب(1ابن جنّي:1985) وابن عصفور في كتابه الممتع في التّصريف(ابن عصفور:1987).

ويشير ابن الأثير أن المخطئ في التّصريف أندر وقوعا من المخطئ في النّحو، لأنّه قلّما يقع له كلمة تحتاج في استعمالها إلى الإبدال والنّقل في حروفها، وأمّا النّحو فإنه يقع الخطأ فيه كثيرا.

ويخلص ابن الأثير إلى أنَّ الجهل بالنّحو لا يقدح في فصاحة المتكلّم ولا بلاغة الكلام ولكنّه يقدح في الجاهل به نفسه، لأنّه رسوم قوم تواضعوا عليه، وهم النّاطقون باللّغة، فوجب اتّباعهم. (ابن الأثير، المثل السّائر، 1998) وأما الإدغام فلا يرى حاجة الكتّاب إليه -في حين أنّه حكم رئيس في تلاوة القرآن الكريم- لكنّه يرى أنّ الشاعر قد يحتاجه لاضطراره في بعض الأحوال إلى إدغام حرف، وإلى فك إدغام، كي يقيم الميزان الشعري. (ابن الأثير: 1، 1998/31)؛ إلّا إنّنا نرى أنّ الإدغام تجويد في الكلام، وهو شرط في تلاوة القرآن الكريم، والقرآن ليس بشعر ولا يُضطرُّ فيهِ إلى شيء ممّا يُضطرّ إليه الشّاعر في شعره. ومن مظاهر الجمال في القراءة الجهريّة أن يظهر القارئ أو يدغم أو يقلب ما حقّه الإظهار أو الإدغام أو الإقلاب. ألا ترى أنّك حين تقول: (سأعلّم التّلاميذَ، وإنّني من بعدِ (مِمْبَعدِ) ذلك لفخورٌ سعيد) أجمل في السّمع من قولك دون تحقيق الإقلاب!

فاعل وفعيل:

يرى الصرفيون أن اسم الفاعل من الثلاثي المتعدي يصاغ على وزن (فاعل) واسم الفاعل من اللازم -مضموم العين -على وزن (فعيل) (عالم وكريم)، وصيغة (فعيل) تأتي صفة مشبهة باسم الفاعل وتأتي للمبالغة، وصيغة (فاعل) تدل على الحدوث والتجدد كالفعل المضارع، أما الصفة المشبهة باسم الفاعل فتدل على الصفة الثابتة، لذا فصيغة فعيل أقوى من صيغة فاعل؛ من حيث دلالتها على الثبوت. (المقرب ابن عصفور1986 وشرح المفصل 2001)

أما االبن الأثير فيخالف الصرفيين؛ من حيث دلالة فاعل وفعيل، فيرى أن (فاعل) أشد بلاغة من فعيل، لأن (فاعل) مأخوذ من (فعَل) المتعدي، وفعيل مأخوذ من (فعُل) اللازم مثل (شرُف وكرُم)، فهو يفرق بين اسم الفاعل والصفة المشبهة فيجعل زيادة المعنى الناتجة عن زيادة اللفظ تكون أشد في الأفعال المتعدية أكثر من الأفعال اللازمة. فالصرفيون يجعلون صيغة فعيل - من فعُل - اسم فاعل وصفة مشبهة باسم الفاعل وصيغة مبالغة وهذه النظرة تفرد بها ابن الأثير. ويقصد بزيادة المعنى هنا المبالغة، والمبالغة تكون بالأفعال وما بشبهها كالمشتقات، والمبالغة جزء من تحول المعنى بالزيادة. وقد يحتمل كلام ابن الأثير أن الفعل المتعدي أقوى في العمل من اللازم فتأتي صيغة فاعل أقوى من صيغة فعيل التي اشتقت من (اللازم (فعُل).

- ثالثًا: الجوانب النّحوية:

الاتّجاه النّحويّ عند ابن الأثير:

تحدّث ابن الأثير عن النّحو؛ من حيث موضوعه، فقال: "موضوع النّحو هو الألفاظ والمعاني، والنّحويّ يسأل عن أحوالهما في الدّلالة من جهة الأوضاع اللّغويّة" (ابن الأثير: 1998)، ويقول: "ألا ترى أنّ النّحويّ يفهم معنى الكلام المنظوم والمنثور ويعلم مواقع إعرابه، ومع ذلك فإنّه لا يفهم ما فيه من الفصاحة والبلاغة". (ابن الأثير:1998)

والجهل بالنّحو لا يقدح في فصاحة ولا بلاغة، ولكنّه يقدح في الجاهل به نفسه، لأنّه رسومُ قومٍ تواضعوا عليه، وهم النّاطقون باللّغة، فوجب اتّباعهم، والدّليل على ذلك أنّ الشّاعر لم ينظم شعره وغرضه رفع الفاعل ونصب المفعول به أو ما جرى مجراهما، وإنّما غرضه إيراد المعنى الحسن في اللّفظ الحسن المُتَّصِفَينِ بصفتي البلاغة والفصاحة، ولهذا لم يكن اللّحنُ قادَحًا في حُسنِ الكلام" بل يقدح في المتعلم نفسه (ابن الأثير: 1998).

ويقول: "وأمّا علم النّحو فإنّه في علم البيان من المنظوم والمنثور بمنزلة أبجد في تعليم الخط، وهو أوّل ما ينبغي معرفته لكلّ أحد ينطق باللّسان العربيّ ليأمنّ معرّة اللّحن، ومع هذا فإنّه وإن احتيج إليه في بعض الكلام دون بعضٍ لضرورة الإفهام؛ فإنّ الوضع لم يخصّ منه شيئًا بالوضع، بل جعل الوضع عامًّا، وإلّا فإذا نظرنا إلى ضرورته وأقسامه المدوّنة وجدنا أكثرها غير مُحتاجٍ إليه في تغيير المعاني (ابن الأثير، المثل السّائر، 1998).

رفع المستثنى مع الإيجاب

ومثال ذلك قول أبي نواس في الأمين محمد: (ديوان أبو نواس: 2010)

يا خَيرَ مَن كانَ وَمَن يَكونُ

إِلّا النَبِيُّ الطاهِرُ المَيمونُ

فرفع في الاستثناء من الموجب، وهذا من ظواهر النحو، وليس من خافيه في شيء (ابن الأثير:1989). وقد يرى البعض أنّه قد يدخُلُ في باب الضّرورة الشّعريّة التي تُجيز للشّاعر ما لا يجوز لغيره، لكنّنا نرى أنّ ابن الأثير كان مُحقًّا، فلو كان الرّفعُ لضرورة شعريّة لكان اكتفى برفع النّعتِ (الميمونُ)، أمّا أن يرفَعَ (النّبيُّ الطّاهرُ) فذلك لا مبرّر له، وخطأ جليّ وقع فيه الشّاعر. ويرى بعضهم أنّ أبا نواس قد تعمّد هذا اللحن لاستخفافه بالنّحو وأهله لشعوبيّته. (أحمد أمين:2012)

توكيد الضّميرين:

يعني ابن الأثير بتوكيد الضّميرين أن يؤكد الضّمير المتّصل بضمير منفصل، كقولك: إنك أنت، والمنفصل بمنفصل كقولك: أنت أنت، والمتصل بمتصل كقولك: إنك إنك لعالم، ويأتي هذا التوكيد في معرض المبالغة وهو من أسرار علم البيان، ويلاحظ أن ابن الأثير يتحدث عن التّوكيد اللّفظي.

وهو بهذا يربط بين اللّفظ والمعنى الدلالي في الجملة، وفصل القول في هذا بقوله: إذا كان المعنى المقصود معلومًا ثابتًا في النفوس، فأنت بالخيار في توكيد أحد الضميرين فيه بالآخر، وإذا كان غير معلوم، وهو مما يشك فيه، فالأولى حينئذ أن يؤكد أحد الضميرين بالآخر في الدلالة عليه لتقرره وتثبته.

توكيد الضميرين (المتصل بمتصل)

استشهد ابن الأثير على هذا التوكيد بقوله تعالى: ﴿**قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا**﴾ **الكهف:72)** ، **وبقوله:** ﴿**قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا**﴾(الكهف:75)، فقد أكد الضمير المتصل في الثانية (لك إنك) ولم يؤكده في الأولى (ألم أقل إنك) وبين ابن الأثير السبب الذي جاء من أجله التوكيد فقال: وإنما جيء بذلك للزيادة في مكافحة العتاب على رفضه الوصية مرة على مرة والوسم بعدم الصبر، وقال: وهذا كما لو ترى الإنسان فلمته وعنفته، ثم أتى ذلك مرة ثانية، أليس أنك تزيد في لومه وتعنيفه؟ كذلك فعل هاهنا، فقد قال في الملامة أولا (ألم أقل إنك) ثم قال ثانيًا (ألم أقل لك إنك)، وقال بعد ذلك: وهذا أمر يدق عن العثور عليه ببادرة النظر ما لم يعط التأمل فيه حقه. (ابن الأثير: 1998)

توكيد المتصل بالمنفصل

ضرب ابن الأثير مثلًا على هذا التوكيد قوله تعالى ﴿ق ۩ **فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (67) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى (68)** ﴾)طه 67-68)فقد أكد الضمير المتصل (إنك) بالضمير المنفصل (أنت) وبين فائدة هذا التوكيد بأنه أنفى للخوف عن موسى عليه السلام وفيه تقرير للنتيجة وهي إثبات الغلبة والقهر له، ولو قال (إنك الأعلى) أو فأنت الأعلى لم يكن له من التقرير والإثبات لنفي الخوف ما لقوله (إنك أنت الأعلى) وذكر أن لهذه الكلمات الثلاث (إنك أنت الأعلى) ست فوائد كلها يمس المعنى:

1- إن المشدد توكيد وإثبات لما بعده.

2- تكرير الضمير (إنك أنت) فيه إثبات للغلبة لموسى وقهره إياهم.

3- لام التعريف في (الأعلى) وفيها تخصيص لموسى بأنه الأعلى لا أحد غيره.

4- اتصال اسم التفضيل بـ(أل) التي للتعريف التي تفيد بثبوت الأفضلية لموسى عليه السلام.

5- أفعل التفضيل (الأعلى) فيه إثبات للغلبة من علو.

6- الاستئناف (لا تخف إنك أنت الأعلى) كان ذلك أبلغ في إيقان موسى عليه السلم بالغلبة والاستعلاء وأثبت لذلك.

وهذا الذي ذكره ابن الأثير مأخوذ من الزمخشري (الزمخشري: الكشاف،1998)، دون إشارة من ابن الأثير قال الزمخشري:

(إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلى) فيه تقرير لغلبته وقهره، وتوكيد بالاستئناف، وبكلمة التشديد، وبتكرير الضمير، وبلام التعريف، وبلفظ العلوّ وهو الغلبة الظاهرة وبالتفضيل.

في هذا التوضيح الذي وضحه ابن الأثير، ومن قبله الزمخشري فيه دلالة على نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني فهو نظم الكلمات وعلاقاتها معا لخدمة المعنى مع توخي معاني النحو، وبهذا يتضح تأثر ابن الأثير ومن قبله الزمخشري بنظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني.

توكيد المنفصل بمنفصل

يذكر ابن الأثير أن هذا التوكيد يكون في الشعر فقط ولم يستشهد عليه من القرآن الكريم لذلك ذكر بيتين من الشّعر:

ذكر قول أبي تمام: (ديوان أبي تمام:2009)

لا أَنتَ أَنتَ وَلا الدِيارُ دِيارُ***خَفَّ الهَوى وَتَوَلَّتِ الأَوطارُ

وقول المتنبي: (ديوان المتنبي: 1983)

قَبيلٌ أنْتَ أنْتَ وأنْتَ مِنْهُم***وجَدُّكَ بِشْرٌ المَلِكُ الهُمامُ

وشرح ابن الأثير هذا التوكيد فبين أنه جاء للمبالغة في المدح في قول المتنبي، فقوله: (أنت أنت) لم يسد مسدها أي مدح و(أنت) الثانية فيها تخصيص للممدوح وانفراده بهذه الصفة. (ابن الأثير: 1998)

هذا التوكيد ذكره سيبويه ورواه عن الخليل إذ سمعه منه قال: "وتقول: قد جربتك فوجدتك أنت أنت، فـ(أنت) الأولى مبتدأ، و(أنت) الثّانية مبنيّة عليها... أو أنت الجواد الجلد كما تقول: النّاس النّاس، أي بكلّ مكان وعلى كل حال كما تعرف". (السيرافيّ: شرح الكتاب، 2008)

في الحروف العاطفة والجارة:

قال ابن الأثير في حديثه عن حروف العطف والجر: "ولست أعني بإيراده هاهنا ما يذكره النحويون من أن الحروف العاطفة تتبع المعطوف عليه، ولا أن الحروف الجارة تجرما تدخل عليه. بل أمرًا وراء ذلك، وإن كان المرجع فيه إلى الأصل النحوي، فأقول: إن أكثر الناس يضعون هذه الحروف في غير مواضعها، فيجعلون ما ينبغي أن يجر بعلى مجرورًا بفي، وفي هذه الأشياء دقائق أذكرها لك". (ابن الأثير، 1998)

حرفا العطف الفاء وثم:

تحدث ابن الأثير عن الفاء وثم فبدأ حديثه عن تأملات ولمحات يراها في القرآن الكريم، فوصف ذلك بأنه موضع لطيف المأخذ دقيق المغزى ولم ير أحدًا من أهل هذه الصناعة تعرض إليه أو ذكره قال:" هذا موضع لطيف المأخذ دقيق المغزى، وما رأيت أحدًا من علماء هذه الصنعة تعرض إليه ولا ذكره. ولا أقول إنهم لم يعرفوه، فإن هذا النوع من الكلام أشهر من أن يخفى، لأنه مذكور في كتب العربية جميعها". (ابن الأثير، 1998).

ويلاحظ أن ابن الأثير لم يتّهم أحدًا بعدم المعرفة لهذا الأمر الذي يلاحظه عن استعمال هذه الحروف وارتباط هذا الاستعمال بالمعنى. إلّا أنّ ما يذكره ابن الأثير عن حروف العطف يختلف عما ذكره النحويون – كما يقول – فحروف العطف تتبع المعطوف على المعطوف عليه في الإعراب. ويبين نظرته من خلال قوله تعالى ﴿**الذي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80) الذي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (81)**﴾ (الشعراء)

قال: الأول عطفه بالواو التي هي للجمع، وتقديم الإطعام على الإسقاء، والإسقاء على الإطعام جائز، لولا مراعاة حسن النظم، ثم عطف الثاني بالفاء، لأن الشفاء يعقب المرض بلا زمان خال من أحدهما، ثم عطف الثالث (بثمّ)، لأن الإحياء يكون بعد الموت بزمان، ولهذا جيء في عطفه (بثمّ) التي هي للتراخي.

ممّا تقدم يتضح أنّ ابن الأثير يرى استعمال حروف العطف (الواو والفاء وثم) كما يراه النحويون في الدلالة على مطلق الجمع، والتعقيب والسرعة، والتراخي، كما يؤمن بنظم الكلام في التركيب القرآني الذي يحتكم الاستعمال لها، وهذا ما يفهم من قوله عن نظم الآية السابقة: "إذ كل شيء منها عطف بما يناسبه ويقع موقع السداد منه"(ابن الأثير: 1998، 2/ 33) وهو بذلك يقتفي عبد القاهر الجرجاني بنظرية نظم الكلام.

ومما جاء من هذا الباب قوله تعالى ﴿**قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (17) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (18) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (19) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (20) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (21) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ (22)**﴾ (عبس)، ألا ترى أنه لما قال: (من نطفة خلقه) كيف قال (فقدّره)، ولم يقل: ثم قدره، لأن التقدير لما كان تابعًا للخلقة وملازمًا لها عطفه بالفاء؟ وذلك بخلاف قوله (ثم السبيل يسّره) لأن بين خلقه وتقديره في بطن أمه وبين إخراجه منه وتسهيل سبيله مهلة وزمانًا، فلذلك عطفه بثم. (ابن الأثير: 1998).

وعلى هذا جاء قوله تعالى ﴿ **ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ* ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ**﴾ لأن بين إخراجه من بطن أمه وبين موته تراخيًا وفسحة، وكذلك بين موته ونشوره أيضًا، ولذلك عطفها بثم. ولما لم يكن بين موت الإنسان وإقباره تراخ ولا مهلة عطفه بالفاء وهذا موضع من علم البيان شريف، وقلما يتفطن لاستعماله كما ينبغي.

هذه النظرة إلى استعمال حروف العطف (الواو والفاء وثم) جعلت منتقدي ابن الأثير يتهمونه بقصور فهم حقيقة استعمال حروف العطف، لأن هذه الحروف تخرج أحيانًا عما وضعت له من الجمع والسرعة والتراخين.

جاء عن النحويين أن أن ثم تأتي على حالات: التشريك والترتيب والإهمال، فالتشريك قد يتخلف كما قال الأخفش والكوفيون وتقع زائدة، والترتيب فقد خالف قوم أنها لا تقتضيه واستشهدوا بآيات منها ﴿ **ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ* ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ** ﴾ (الأنعام:153-154)، وما جاء به ابن الأثير ذهب إليه البصريون من النحاة (الجنى الداني للمرادي 2005)

حروف الجر:

يذكر ابن الأثير أن (في) للوعاء، أي الظرف، و(على) للاستعلاء، كقولهم زيد في الدار، وعمرو على الفرس، لكن إذا أريد استعمال ذلك في غير هذين الموضعين، مما يشكل استعماله عدل فيه عن الأول. وطبق ابن الأثير ذلك على قوله تعالى ﴿**قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله و إنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين**﴾ (سبأ: 24). فهو يرى أن مخالفة هذين الحرفين (في وعلى) يعطي معنى بارعًا في الدخول على الحق والباطل، فاستعمل الحرف (على) بالدخول على الحق، وكأن صاحب الحق على جواد يركض به؛ حيث شاء، واستعمل الحرف (في) في الدخول على الباطل، وكأن صاحب الباطل منغمس في ظلام منخفض فيه لا يدري أين يتوجه، ويذهب ابن الأثير أن استعمال (على) مع الضلال ليس بصواب، وما يؤيد ذلك قوله تعالى ﴿

قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾ (يوسف: 95)، ويصف ابن الأثير هذا المعنى بأنه دقيق قلما يراعى مثله في الكلام. (ابن الأثير، 1998). ويبين دقة الاستعمال القرآني للحرف (في) في قوله تعالى ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ**﴾(التوبة: 60) "عدل عن اللّام إلى (في) في الثّلاثة الأخيرة للإيذانِ بأنّهم أرسخ في استحقاق التّصدّق عليهم ممن سبق ذكره باللام لأن (في) للوعاء فنبه على أنهم أحقاء بأن توضع فيهم الصدقات كما يوضع الشيء في الوعاء، وأن يجعلوا مظنة لها، وذلك لما في فك الرقاب، وفي الغرم من التخلص، وتكرير (في) في قوله (وفي سبيل الله) دليل على ترجيحه على الرقاب وعلى الغارمين (ابن الأثير: 1998).

فقد استعمل الحرف (في) مع المستحقين أكثر في التصدق عليهم ممن استعملت معه اللام. ويذكر ابن الأثير أن هذه لطائف لا توجد إلا في القرآن الكريم، ويدعو إلى القياس عليها في الاستعمال. (ابن الأثير، 1998). الذي ذكره ابن لأثير عن استعمال (في) بدلًا من اللام ذكره الزمخشري ونقله ابن الأثير حرفيًا ولم يذكر المصدر. قال الزمخشريّ: "فإن قلت لم عدل عن اللّام إلى «في» في الأربعة الأخيرة؟ قلت للإيذان بأنهم أرسخ في استحقاق التّصدق عليهم ممن سبق ذكره، لأن «في» للوعاء، فنبه على أنهم أحقاء بأن توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها ومصبًا، وذلك لما في فكّ الرقاب من الكتابة أو الرقّ أو الأسر، وفي فكّ الغارمين من الغرم من التخليص "والإنقاذ، ولجمع الغازي الفقير أو المنقطع في الحج بين الفقر والعبادة، وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الأهل والمال". (الزمخشري: 1998)

- رابعًا: الجوانب الدلالية

التقديم والتأخير:

1. تقديم خبر المبتدأ:

يرى ابن الأثير أن تقديم الخبر يعطي معاني تفيد أهمية المقدم والاختصاص والعناية، وقد ذكر أمثلة من القرآن الكريم كقوله تعالى ﴿**أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ**﴾ (مريم: 46)، فذكر أن الخبر مقدم لأنه كان أهم عنده وهو به شديد العناية، وفي ذلك ضرب من التعجب والإنكار لرغبة إبراهيم عن آلهته، وأن آلهته لا ينبغي أن يرغب عنها، وهذا بخلاف لو قال (أأنت راغب عن آلهتي) (ابن الأثير:1998)

وتحدث عن تقديم الخبر من أجل التخصيص في قوله تعالى ﴿**فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾**(الأنبياء: 97)**، فجاء التقديم لأمرين: هما تخصيص الأبصار بالشخوص دون غيرها، والشخوص خاص بهم دون غيرهم.(ابن الأثير: 1998) وذكرت هذه المعاني عند كثير من المفسرين واللغويين والبلاغيين.

2. تقديم الظرف:

إذا كان الكلام مقصودًا به الإثبات فإن تقديم الظرف أولى من تأخيره، وفائدته إسناد الكلام الواقع بعده إلى صاحب الظرف دون غيره. فإذا أريد بالكلام النفي فيحسن فيه تقديم الظرف وتأخيره، وكلا هذين الأمرين له موضع يختص به. فأما تقديمه في النفي فإنه يقصد به تفضيل المنفي عنه على غيره، وأما تأخيره فإنه يقصد به النفي أصلًا من غير تفضيل. (ابن الأثير: 1998)

فأما الأوّل:

تقديم الظرف في الإثبات فكقولك: إن إليّ مصير هذا الأمر، ولو أخرت الظرف فقلت: إن مصير هذا الأمر إليّ، لم يعط من المعنى ما أعطاه الأول. وذلك أن الأول دلّ على أن مصير الأمر ليس إلا إليك، وذلك بخلاف الثاني إذ يحتمل أن توقع الكلام بعد الظرف على غيرك، فيقال: إلى زيد أو عمرو أو غيرهما. وعلى نحو منه جاء قوله تعالى ﴿ **إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (25) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم (26)**﴾ **(الغاشية)، وكذلك قوله تعالى** ﴿ **يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ**﴾(التغابن:1)، فإنه إنما قدم الظرفين ها هنا في قوله (له الملك وله الحمد) ليدل بتقديمهما على اختصاص الملك والحمد بالله لا بغيره. يلاحظ أن ابن الأثير يستعمل مصطلح الظرف على الجار والمجرور (إلي أو إليك أو إلينا أو له) ويرى أن التقديم للظرف هنا يفيد التخصيص.

وقد استعمل تقديم الظرف في القرآن كثيرا كقوله **تعالى**: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (22) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (23)** ﴾ (القيامة) أي تنظر إلى ربها دون غيره، فتقديم الظرف هنا ليس للاختصاص، وإنما هو كالذي أشرت إليه في تقديم المفعول، وأنه لم يقدم للاختصاص، وإنما قدم من أجل نظم الكلام، لأن قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) أحسن من أن لو قيل: وجوه يومئذ ناضرة ناظرة إلى ربها، والفرق بين النظمين ظاهر.

وكذا قوله تعالى: ﴿ **وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (29) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (30)** ﴾ (القيامة) فإن هذا روعِيَ فيه حسن النظم، لا الاختصاص في تقديم الظرف، وفي القرآن مواضع جاء التقديم فيها للنظم وليس الاختصاص.

﴿ **إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ(12)** ﴾(القيامة)، ﴿**أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ**﴾(الشورى:53)، ﴿ **لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ (القصص:88).

﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾(هود 88)، قدّم الظّرف لمراعاة الحسن في نظم الكلام.

فاتقديم في الأمثلة التي ذكرها يفيد حسن النظم ويقصد بالنظم المناسبة الصوتية لرؤوس الآيات وليس تعلق الكلمات ببعضها في العبارة.

أما الثاني:

تأخير الظرف وتقديمه في النفي، فنحو قوله تعالى ﴿ **الم * ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ** ﴾ (البقرة: 1-2)، وقوله تعالى: ﴿ **لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ** ﴾ (الصافات 47)، فإنه أخّر الظّرف في الأولى لأن القصد في إيلاء حرف النفي الرّيب نفي الرّيب عنه، وإثبات أنه حق وصدق، لا باطل وكذب، كما كان المشركون يدعونه، ولو قدم الظرف لقصد أن كتابًا آخر فيه الريب لا فيه، كما قصد في قوله تعالى: ﴿لا فيها غول﴾ فتأخير الظرف يقتضي النفي أصلًا من غير تفضيل، وتقديمه يقتضي تفضيل المنفي عنه، وهو خمر الجنة على غيرها من خمور الدنيا، أي ليس فيها ما في غيرها من الغول، وهذا مثل قولنا: لا عيب في الدار، وقولنا: لا فيها عيب. فالأول نفي العيب عن الدار فقط. والثاني: تفضيل لها على غيرها، أي ليس فيها ما في غيرها من العيب، فاعرف ذلك فإنه من دقائق هذا الباب (ابن الأثير، 1998)

إنّ ابن الأثير يدعو إلى تأمل الناظر في النص ولا سيما النّص القرآني لمعرفة معنى الظرف وفق موقعه فإذا تقدم يعطي الجملة معنى يختلف عنه عندما يتأخر.

3. تقديم خبر المبتدأ عليه

كقوله تعالى: ﴿ **وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ** ﴾ (الحشر: 2). نجد في تقديم الخبر (مانعتهم) على المبتدأ (حصونهم) دليل على فرط اعتقادهم في حصانتها وزيادة وثوقهم بمنعها إياهم. وفي تصويب ضميرهم اسمًا لأن، وإسناد الجملة إليه دليل على تقريرهم في أنفسهم أنهم في عزة وامتناع لا يبالي معها بقصد قاصد، ولا تعرض معترض، وليس شيء من ذلك في قولك: وظنوا أن حصونهم مانعتهم من الله.

ومن تقديم خبر المبتدأ قوله تعالى ﴿ **قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ** ﴾ (مريم: 46)، فإنه إنّما قدم خبر المبتدأ عليه في قوله (أراغب أنت) ولم يقل: أأنت راغب، لأنه كان أهم عنده، وهو به شديد العناية وهذا يتوافق مع قول النسفي في حقائق التأويل: إنه قدم الخبر، لأنه كان أهم عنده، وفي ذلك ضرب من التعجب والإنكار، لرغبة إبراهيم عن آلهته، وأن آلهته لا ينبغي أن يرغب عنها. وهذا بخلاف ما لو قال (أأنت راغب عن آلهتي). (ابن الأثير، 1998).

ومن غامض هذا الموضع قوله تعالى ﴿ **وَ اقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ/ الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾ (الأنبياء: 97)، فإنّه إنّما قال ذلك، ولم يقل: فإذا أبصار الذين كفروا شاخصة. لأمرين:

1- تخصيص الأبصار بالشخوص دون غيرها.

2- فإنه لما أراد أن الشخوص خاص بهم دون غيرهم دل عليه بتقديم الضمير أولًا ثم بصاحبه ثانيًا.

4. تقديم السّبب على المسبب:

كقوله تعالى: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5)** ﴾(الفاتحة)، فإنَّه إنَّما قدّم العبادة على الاستعانة، لأن تقديم القربة والوسيلة قبل طلب الحاجة أنجح لحصول الطّلب وأسرع لوقوع الإجابة، ولو قال: إياك نستعين وإياك نعبد لكان جائزًا، إلا إنّه لا يسدّ ذلك المسدّ، ولا يقع ذلك الموقع / وعلى نحو منه جاء قوله تعالى: ﴿ **وَ أَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا *لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَ أَنَاسِيَّ كَثِيرًا** ﴾(الفرقان:49،48)

فقدم حياة الأرض وإسقاء الأنعام على إسقاء الناس، وإن كانوا أشرف محلًا، لأن حياة الأرض هي سبب لحياة الأنعام والناس، ولما كانت الأنعام من أسباب التعيش والحياة للناس قدمها في الذكر على الناس، لأنَّ حياة النّاس بحياة أرضهم وأنعامهم، فقدم سقي ما هو سبب نمائهم ومعاشهم على سقيهم. (ابن الأثير، 1998)

5. تقديم الأكثر على الأقل:

كقوله تعالى ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ** ﴾(فاطر:32)، وإنما قدم الظالم لنفسه للإيذان بكثرته، أن معظم الخلق عليه، ثم أتى بعده بالمقتصدين، لأنهم قليل بالإضافة إليه، ثم أتى بالسابقين وهم أقل من القليل أعني دون المقتصدين، فقدم الأكثر وبعده الأوسط، ثم ذكر الأقل آخرًا، ولو عكس القضية لكان واقعًا في موقعه، يكون قد روعي فيه تقديم الأفضل فالأفضل.

ولنوضح لك في هذا وأمثاله طريقًا تقتفيه فنقول:

اعلم أنه إذا كان الشّيئان كلّ واحد منهما مختصًّا بصفة فأنت بالخيار في تقديم أيّهما شئت في الذّكر، كهذه الآية، فإن السّابق بالخيرات مختص بصفة الفضل، والظالم لنفسه مختص بصفة الكثرة فقس على هذا ما يأتيك من أشباهه وأمثاله. ومن هذا الجنس قوله تعالى ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ** ﴾ (النور: 45)، قدم الماشي على بطنه، لأنه أدل على القدرة من الماشي على رجلين، إذ هو ماش بغير الآلة المخلوقة للمشي، ثم ذكر الماشي على رجلين، وقدمه على الماشي على أربع، لأنه أدل على القدرة أيضًا؛ حيث كثرت آلات المشي في الأربع وهذا من باب تقديم الأعجب فالأعجب.

وفي قوله تعالى: ﴿ **وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ (104) يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (105) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ** ﴾(هود: 104-106)، ثم قال: ﴿ ﴿ **وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ** ﴾(هود:108)، فقدم أهل النار في الذكر على أهل الجنة، وهذا مخالف للأصل

الذي أصلته في هذا الموضع.

فالجواب: أن هذا له أسرار تحتاج على تأمل وإمعان نظر حتى تفهم، فقد كان الكلام مسوقًا في ذكر التخويف والتحذير، وجاء على عقب قصص الأولين وما فعل الله بهم من التعذيب والتدمير، وكان الأليق أن يوصل الكلام بما يناسبه في المعنى، وهو ذكر أهل النار، فمن أجل ذلك قدموا في الذكر على أهل الجنة.

واعلم أنه إذا كان في مطلع الكلام في معنى من المعاني، ثم يجيء بعده ذكر شيئين أحدهما أفضل من الآخر، وكان المعنى المفضول مناسبًا لمطلع الكلام فأنت بالخيار في تقديم أيهما شئت، لأنك إن قدمت الأفضل فهو في موضعه من التقديم، وإن قدمت المفضول فلأن مطلع الكلام يناسبه، ومن ذلك ذكر الشيء مع ما يناسبه، قوله تعالى ﴿**وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ(48) لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ(49) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (50)** ﴾ (الشورى)، فإنه إنما قدم الإناث على الذكور مع تقدمهم عليهن، لأنه ذكر البلاء في آخر الآية الأولى، وكفران الإنسان بنسيانه للرحمة السابقة عنده، ثم عقب على ذلك بذكره ملكه ومشيئته وذكر قسمة الأولاد، فقدم الإناث، لأن سياق الكلام: أنه فاعل ما يشاء لا ما يشاؤه الإنسان، فكان ذكر الإناث اللاتي هن من جملة ما لا يشاؤه الإنسان ولا يختاره أهم، والأهم واجب التقديم، وليلي الجنس الذي كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء (ابن الأثير، 1998، 31/2)، ولما أخّر ذكر الذكور وهم أحقّاء بالتقديم تدارك ذلك بتعريفه إياهم، لأن التّعريف تنويه بالذكر، وكأنه قال: ويهب لمن يشاء الفرسان الأعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم، أعطى كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير وعرف أن تقديم الإناث لم يكن لتقدمهن، ولكن لمقتضى آخر فقال: (ذكرانًا وإناثًا) وهذه دقائق لطيفة قل من يتنبه لها أو يعثر على رموزها.

ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿ **وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ...** ﴾ (يونس:61)، فإنه إنما قدم الأرض في الذكر على السماء، ومن حقها التأخير، لأنه لما ذكر شهادته على شؤون أهل الأرض وأحوالهم، ووصل ذلك بقوله: (وما يعزب) لاءم بينهما لِيَلِيَ المَعنى المَعنى.

فإن قيل: قد جاء تقديم الأرض على السماء في الذكر في مواضع كثيرة من القرآن. قلنا: إذا جاءت مقدمة في الذكر فلا بد لتقديمها من سبب اقتضاء، وإن خفي ذلك السبب، وقد يستنبطه بعض العلماء دون بعض.

تقديم الحال على صاحبها:

يرى ابن الأثير أن تقديم الحال على صاحبها يفيد الاختصاص، فإن (راكبًا) في جملة: جاء راكبًا زيد- تفيد الاختصاص بالركوب في مجيئه وتنفي مجيئه بحال أخرى كالضحك والمشي وغير ذلك. (ابن الأثير، 1998) وعند تتبع أحوال الحال في اللغة العربية نجد أنها لا تتقدم إلا في شواهد معدودة، واختلف النحويون في تقديم الحال على صاحبها فبعضهم قال بعدم جواز تقديمها على صاحبها المجرور، ولم يذكروا شواهد على ذلك، أما المرفوع أو المنصوب فجائز،(الأشموني:1970) وما قاله ابن الأثير يتّفق مع ما جاء به البلاغيّون - ومنهم عبد القاهر الجرجانيّ - من أنّ الدّلالة تتغيّر لتغيّر الرّتبة في التقديم والتأخير. (الأشموني:1970)

المشترك:

معنى الاشتراك: أن تكون اللفظة لمعنيين أو أكثر، وإلى هذا ذهب ابن فارس (395 هـ) (ابن فارس: 1993، 261) وعرفه الأصوليون فقالوا: اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر، دلالة على السّواء عند أهل تلك اللغة (السيوطي: المزهر، 2008)

أطلق العلماء القدامى على المشترك اللفظي: (ما اتفق لفظه واختلف معناه) ومن المشترك ما يسمى الوجوه والنظائر، ومعنى الوجوه والنظائر: أن تكون الكلمة الواحدة ذكرت في مواضع من القرآن على لفظة واحدة وحركة واحدة، وأريد بكل مكان معنى غير الآخر، فالكلمات نظائر، والمعاني وجوه، هذا ما ذكره ابن الجوزي. (ابن الجوزي:1984)

أنكر بعض اللغويين وجود المشترك اللفظي، ومن هؤلاء ابن درستويه (تصحيح الفصيح: 240/1). وأكثر اللغويين القدامى ذهبوا إلى وجوده، ومن هؤلاء: الخليل وسيبويه وأبو زيد الأنصاري وأبو عبيدة وابن قتيبة وابن الأنباري وابن خالويه.

تناول ابن الأثير موضوع المشترك اللفظي، وذكر أن القدامى لهم فيه مجاذبات ورد على المنكرين ردًا يظهر فيه أنه يؤيد وجود المشترك، ويضيف علة أخرى لوجود المشترك غير العلة التي ذكروها، فقد كانت علته التحسين؛ لأنّ علة وضع المشترك هي المعاني والتحسين، فقال: إن علة واضع اللغة الدلالة على المعاني فالمشترك يدل -عند إطلاق اللفظ على المعنى- فيستعمل أحد اللفظين على الحقيقة، والآخر على المجازات وفي هذا ما فيه كما يقول ابن الأثير، ويضيف ابن الأثير أن ما قاله المنكرون للمشترك وردودهم على المؤيدين غير مقنع ولكن يستخرج شيئًا جديدًا في الرد على هؤلاء، وهو: إن فائدة وضع اللغة البيان والتحسين، أما البيان ففي الأسماء المتباينة التي هي كل اسم دل على مسمى واحد، أما التحسين فإن الواضع لهذه اللغة العربية التي هي أحسن اللغات نظر إلى ما يحتاج إليه أرباب الفصاحة والبلاغة فيما يصوغون من نظم أو نثر، ورأى أن من مهمات ذلك التحسين، ولا يقوم به إلا الأسماء المشتركة فوضعها من أجل ذلك، وهذا الموضوع يتجاذبه جانبان يترجح أحدهما على الآخر: فالواضع إن وضع هذه الأسماء ذهب بفائدة البيان،

وإن لم يضعها ذهب بفائدة التحسين، لذلك وضعها الواضع من التحسين واستدرك بفائدة البيان بالقرينة وهذا ما دعا إلى ترجيح الوضع.

التعبير عن المثنى بالجمع:

عدّ بعض العلماء هذا الأمر من باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه، فالجمع قد يراد به الاثنين فمن ذلك ﴿**فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا**﴾ (التحريم:4) وقوله تعالى ﴿**وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ**﴾ (الأعراف 150) جاء في التفسير أن القلوب المقصود بها قلبان والألواح المقصود بها لوحان. (ابن قتيبة:1973)

ومن سنن العرب كما جاء عند ابن فارس: "الإتيان بلفظ الجمع والمراد واحد واثنان" (ابن فارس: 1993)

ويقول ابن الأثير في قول المتنبي: (ديوان المتنبي: 1983)

وَتَكَرَّمَت رُكَباتُها عَن مَبرَكٍ***تَقَعانِ فيهِ وَلَيسَ مِسكًا أَذفَرا

"فجمع في حالة التثنية، لأن الناقة ليس لها إلا ركبتان، فقال (ركبات) وهذا من أظهر ظواهر النحو" (ابن الأثير، 1998)، وقد أصاب ابن الأثير في قوله من الجانب العلميّ، فكما هو ثابت عند أهل العلم أنّ ذوات الأربع إنّما ركبتاها في القائمتين الأماميّتين، والخلفيّتان عرقوبان، وقال الجاحظ في كتاب الحيوان: "وكلّ شيء من ذوات الأربع فركبتاه في يديه، وركبتا الإنسان في رجليه، قال: والإنسان كفّه في يده، والطائر كفه في رجله.(الجاحظ: الحيوان:2010م، 439/2)، فهل خفي ذلك على مثل المتنبي؟! نرى -والله أعلم- أنّ المتنبي لم يجانب الصّواب، ولم يكن بِدعًا في جمعه لما حقّه التّثنية، فقد جاء في خزانة الأدب للبغداديّ: "كل ما في الجسد منه شيءٌ واحد، لا ينفصل كالرأس، والأنف واللّسان، والظهر، والبطن، والقلب، فإنك إذا ضممت إليه مثله، جاز فيه ثلاثة أوجه: أحدهما: الجمع الّذي هو الأكثر وثانيها الإفراد وثالثها التثنية"، واستشهد للجمع في الاستعمال بقوله تعالى: "فقد صغت قلوبكما". وإنما عبروا بالجمع، والمراد التثنية لأنها جمع. وهذا لا يلبس. وشبهوا هذا النوع بقولهم: نحن فعلنا. قال سيبويه: وسألت الخليل عن: ما أحسن وجوههما، فقال: لأن الاثنين جميع، وهذا بمنزلة قول الاثنين: نحن فعلنا ذاك. (البغدادي: خزانة الأدب، 501/7)

وقال الواحديّ شارح ديوان المتنبي: "والرّكبات جمع ركبة، وهذا جمع أريد به الاثنان كقوله تعالى: ﴿فقد صغت قلوبكما﴾ وكقول الشّاعر:

ظهراهما مثل ظهور الترسين، وهو كثير، وذلك أن أول الجمع اثنان، فجاز أن يعبر عنهما بلفظ الجمع لَمّا كانا جمعا، فيدل على أنه أراد بلفظ الجمع الاثنين أنه لما أخبر كما يخبر عن الاثنين بقوله تقعان". (الواحدي: 1999) ونستشهد لذلك أيضا بقوله تعالى: "ومن هذا الباب أيضا قوله تعالى: ﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين﴾، فقال (لحكمهم) وأراد حكمهما فهما اثنان.

قوة اللفظ لقوة المعنى

تحدث ابن جني عن هذا الموضوع فقال " هذا فصل من العربية حسن منه قولهم: خشن واخشوشن، فمعنى (خشن) دون معنى (اخشوشن)، لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو.... ومثله حلا واحلولى، وباب فعل وافتعل نحو قدر واقتدر، فاقتدر أقوى معنى من قدر. (ابن جني: الخصائص: 266/2) استشهد به ابن الأثير بما قاله ابن جني؛ لكنّه –كما يقول- نبّه إلى دقائق لم ينبّه إليها ابن جني، وبين أن له رأيًا في أن قوة معنى الكلمة بسبب الزيادة في بنيتها ينسحب فقط على الأفعال والصفات، لأن ذلك يدل على التوكيد والتوكيد يكون فيم فيه معنى الفعلية كالمشتقات والأفعال قال: " ولا يوجد ذلك (أي التوكيد) إلا فيما فيه معنى الفعلية ' كاسم الفاعل، واسم المفعول وكالفعل نفسه نحو قوله تعالى ﴿فكبكبوا فيها هم والغاوون﴾ (الشعراء:94) (ابن الأثير، 1998، 42/2) ولا ينسحب على الأسماء، وفي هذا يخالف ابن جني الذي جعل قوة المعنى لقوة اللفظ تكون في الأفعال والأسماء، وضرب مثلًا في الاسم المصغر فالزيادة فيه (ياء التصغير) لا تعطي معنى التوكيد، ومن يقول بذلك اتهمه ابن الأثير بالجهل قال " ولربما نظر بعض الجهال في هذا فقاس عليه زيادة التصغير، (ياء التصغير) وقال:إنها زيادة ولكن زيادة نقص، لأنه يزاد في اللفظ حرف كقولهم (رجيل) و(قنيديل) فالزيادة نقصت من معنى اللفظين ". (ابن الأثير: 1998)

نتائج البحث وأهمّ التّوصيات:

بعد تتبع بعض القضايا النحوية واللغوية التي تناولها ابن الأثير في كتابه "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر" خلص البحث إلى ما يأتي:

1- تناول ابن الأثير فصاحة الكلمة وكان مقياسه في الفصاحة الحسن والقبح، ومرد ذلك إلى حاسة السمع، وليست الفصاحة في بعد مخارج الحروف أو قربها.. ويقرر ابن الأثير النتيجة التي توصل إليها في هذا الشأن، وهي أن مخارج الحروف غير معتبر في الحسن والقبح.وهذا المقياس عنده عام غير محدد فالحسن والقبح نسبي.

2- وكان ابن الأثير متأثرًا بمن سبقه في الحديث عن اللفظة المفردة كابن سنان الخفاجي في كتابه سر الفصاحة، إلا أنه كان مخالفًا له في الحديث عن الأصوات التي ليست لها علاقة في المعنى كما قال.

3- في اختلاف صيغ الألفاظ كان ابن الأثير متأثرا بأبي هلال العسكري في كتابه كتاب الصناعتين في باب المؤتلف والمختلف، وكنت له آراء فريدة كحديثه عن صيغة فاعل وفعيل إذ رأى أن فاعل أبلغ وأقوى من فعيل وفهذا مخالفة لصرفيين.

4- كان ابن الأثير ذا نظرة صائبة في أهمية النحو في المعنى الدلالي للعبارة ولا ينظر إليه باعتبار حرفية القوانين النحوية وهو بذلك متأثر بعبد

القاهر الجرجاني دون أن يشير إليه ' كما تأثر بالنحو البصري، كما كان حديثه عن أحرف العطف والجر.

5- إن كتاب المثل السائر في أدب، الكاتب والشاعر من أهم الكتب في الأدب والبلاغة والنقد، فقد كان لابن الأثير فضل عظيم في هذا الكتاب الحلقة الأخيرة في النقد المبني على الذوق السليم.

6- نظر ابن الأخير إلى القرآن الكريم على أنه قمة الإعجاز البياني واللغوي فكثيرًا ما كان يستشهد بالآيات ويفسره بفهمه الخاص المنبثق من عقلية المفسر، وكان متأثرًا بنظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني التي لم يكن يستغني متأدب أو كاتب أو شاعر قديمًا عن النظر فيها، ولا تزال إلى اليوم تسد حاجة كل من يهتم بفنون الأدب العربي القديم، وكل من يريد أن يتعلم أساليب الكتابة الأدبية، وذلك لما حوى هذا المؤلَّف القيم من الآراء التي تدور حول صناعة الكتابة، وتتعمَّق في أصولها في عصر ابن الأثير، وفي العصور التي سبقته، مقدمًا جردًا موسوعيًا لما استقرت عليه لدى العلماء وكبار الأدباء والنقاد ممن سبقوه وعاصروه، مازجًا ذلك بآرائه الخاصة وترجيحاته الذكية في فنون الأدب وتقنيات الكتابة، مع استشهادات من روائع النصوص التي خلفتها تلك العصور، فجمع كتابه بين الرأي والتطبيق، وحسن الاختيار، وجاء خلاصة لقرون عديدة من صناعة البلاغة العربية، هي قرون الصفاء والمجد الإبداعي في تاريخ الأدب العربي.

7- يمكن أن نقول: إن ابن الأثير له نظرات فريدة سبق بها عصره، والتفق فيها مع أحدث النظريات في الأدب والنقد واللغة.

المصادروالمراجع

أبو تمام، حبيب بن أوس: ديوان أبي تمام (شرح الخطيب التبريزي)، تحقيق: محمد عبده عزّام، دار المعارف،2009، ط4.

ابن الأثير، ضياء الدين: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح أحمد الخوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1998.

أحمد أمين: ضحى الإسلام، مؤسسة هنداوي للنشر، 2012.

الأزهري، خالد بن عبد الله: شرح الأزهريّة، المطبعة الكبرى ببولاق، القاهرة، إهداء من دار الفلاح للبحث العلميّ وتحقيق التّراث الإسلاميّ.

الإشبيلي، ابن عصفور: الممتع في التصريف، تح: فخر الدين قباوة، دار المعرفة، بيروت، 1987م، ط1.

الأشموني، نور الدين: منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد القاهرة النهضة المصريّة، 1970.

البغدادي، عبد القادر: خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، تح: إميل يعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت.

الجاحظ، عمرو بن بحر: الحيوان، تح: محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلمية – بيروت، 2010م، ط2.

الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تح: محمود شاكر، مكتبة خانجي، القاهرة، 1984، ط1.

ابن جني، أبو الفتح: الخصائص، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، 2013، ط4.

ابن جنّي، أبو الفتح: سر صناعة الإعراب، تح: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، 1985، ط1.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، نزهة الأعين والنواظر، محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984م، ط1.

الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان: سرّ الفصاحة، دار الكتب العلمية 1982م، ط1.

ابن خلّكان، أبو العبّاس، شمس الدّين: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمام، تح: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، 1972م.

الدينوري، ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1973م.

الزمخشري، أبو القاسم جار الله: ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1992، ط1، ج1.

الزمخشري، أبو القاسم جار الله: الكشاف، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.

السيرافيّ، أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان: شرح كتاب سيبويه، تح: أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، دار الكتب العلميّة، بيروت، 2008، ط1.

السيوطي، جلال الدين: المزهر في علوم اللغة، تح: محمد أحمد بك وآخرون، دار التراث، القاهرة، 2008، ط3.

الغلاييني، مصطفى: جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، بيروت، 2017.

ابن فارس، أحمد: الصّاحبي في فقه اللغة العربية، تح: عمر فاروق الطّبّاع، مكتبة المعارف، بيروت، 1993، ط1.

الفرزدق، همام بن غالب: ديوان الفرزدق، شرح وضبط: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ط1.

المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي: دار بيروت، بيروت، 1983،ط1.

أبو نواس، لحسن بن هانئ: ديوان أبي نواس برواية الصولي، تحقيق: بهجت الحديثي، دار الكتب الوطنية، المجمع الثقافي، أبوظبي، 2010، ط1.

الواحدي: شرح الواحدي لديوان المتنبي، تح: ياسين الأيوبي وقصي الحسين، دار الرائد العربي، بيروت، 1999، ط1. 1999، ج4، ص1973.

ابن يعيش، يعيش بن علي: شرح المفصّل للزمخشري، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 2001 م، ط1.

References

Al-Farazdaq, Hammam Ibn Ghaleb.(1987). Divan Al Farazdaq, Explanation and Adjustment: Ali Faour, (1st). Dar Al-Kotob Al-Alami, Beirut.

Al-Mutanabi, Abu al-Tayyib Ahmad bin al-Hussein bin al-Hasan bin Abd al-Samad al-Jaafi.(1983). Dar Beirutfirst edition.

Abu Nawas. (2010). By Hassan bin Hani: The Diwan of Abu Nawas with the novel of Al-Souli,(1st). edited by Bahjat Al-Hadithi, National Library, The Cultural Foundation, Abu Dhabi.

Al-Wahadi.(1999). Al-Wahadi's explanation of Diwan Al-Mutanabi, Tah: Yassin Al-Ayoubi and Qusay Al-Hussein, 4(1) , 1973.Dar Al-Raed Al-Arabi, Beirut.

Abu Tammam, Habib bin Aws.(2009). The Divan of Abi Tamam (Sharh al-Khatib al-Tabrizi). (4th). edited by: Muhammad Abdo Azzam, Dar al-Maarif,

Ahmed Amin: Doha Sacrifice. (2012). Hindawi Publishing Foundation.

Al-Ashmoni, Nur ad-Din.(1970). The Salik Approach to the Millennium of Ibn Malik. Tah: Muhammad Muhyiddin Abd al-Hamid, Cairo, The Egyptian Renaissance,

Al-Azhari, Khalid bin Abdullah.(n.d.). Explanation of Al-Azhar, Grand Press, Bulaq, Cairo, a dedication from Dar Al-Falah for scientific research and the achievement of Islamic heritage.

Al-Baghdadi, Abdul Qadir: Treasury of Literature and Pulp for the Door of the Tongue of the Arabs, Open: Emile Yaqoub, House of Scientific Books, Beirut.

Al-Dinuri, Ibn Qutaybah. (1973 AD). Interpretation of the Problem of the Qur'an, Investigation of Ibrahim Shams al-Din. Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut, Lebanon.

Al-Eshbili, Ibn Asfour.(1987 AD). Al-Mumta'i in Al-Tasrif, Tah: Fakhr Al-Din Kabawa, Dar Al-Maarefah, Beirut, 1st edition.

Al-Ghalayini, Mustafa. (2017). Collector of Arabic Lessons, Modern Library, Beirut.

Al-Jahiz, Amr Ibn Bahr.(2010 AD). The Animal, Th: Muhammad Basil Ayoun Al-Soud, (2nd). Dar Al-Kutub Al-Alami – Beirut.

Al-Jarjani, Abdel-Qaher.(1984).Evidence of Miracle, Under: Mahmoud Shaker, (1st), Khanji Library, Cairo.

Al-Khafaji, Abu Muhammad Abdullah bin Muhammad bin Saeed bin Sinan.(1982).The Secret of eloquence, (1st). Dar Al-Kutub Al-Alumiya.

Al-Serafi, Abu Saeed Al-Hassan Bin Abdullah Bin Al-Marzban, (2008).Explanation of the Book of Sibawayh, Opened by: Ahmed Hassan Mahdali and Ali Sayyid Ali, (1st) Scientific Books House, Beirut.

Al-Suyuti, Jalaluddin. (2008).Al-Mizhar in Language Sciences, Open: Muhammad Ahmed Bey and others, (3rd). Dar Al-Turath, Cairo.

Al-Zamakhshari, Abu al-Qasim Jarallah. (1992). Rabih al-Abrar and the texts of the good guys, (1st). Al-Alamy Foundation, Beirut.

Al-Zamakhshari, Abu al-Qasim Jarallah. (1998). The Scout, Tah: Muhammad Abd al-Salam Shaheen, Scientific Books House, Beirut.

Ibn Al-Atheer, Dia al-Din. (1998). The parable in the literature of the writer and poet, Tah Ahmed Al-Khufi and Badawi Tabana, Nahdet Misr for Printing and Publishing, Cairo, Egypt,.

Ibn al-Jawzi, Jamal al-Din Abu al-Faraj Abd al-Rahman ibn Ali. (1984). A Journey to the Eyes and Headsets, (1st). Muhammad Abd al-Karim Kazem al-Radhi, Al-Risala Foundation, Beirut.

Ibn Faris, Ahmed.(1993). Al-Sahbi in Fiqh of the Arabic Language, Tah: Omar Farouk Al-Tabba ', (1st). Al-Maaref Library, Beirut.

Ibn Jani, Abu Al-Fateh.(2013). Characteristics, Open: Abdel Hamid Hindawi, (4th). House of Scientific Books, Beirut.

Ibn Jenni, Abu Al-Fateh. (1985). The Secret of Making Expressions, Tah: Hassan Hindawi, (1st). Dar Al-Qalam, Damascus.

Ibn Khallaqan, Abu Al-Abbas,.(1972). Shams Al-Din: Deaths of notables and news of the sons of the reins, Tah: Ihsan Abbas Dar Sader, Beirut.

Ibn Yaish, Yaish Bin Ali. (2001).Sharh Al-Muzafil Al-Zamakhshari, Tah: Emil Badi 'Yaqoub, (1st). Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut – Lebanon.